موقف المستشرقين من نشأة الأسانيد

دكتور/ سلطان فهد الطبيشي
أستاذ الحديث المشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية – جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

أما بعد:

فإن علم الحديث النبوي من أجل العلوم وأشرفها، وذلك لتعلقه بالمصدر الثاني من مصادر الشريعة، ويتكون من إسناد ومتن، لذا حرص أعداء الإسلام من المستشرقين وأذنابهم ومن تبعهم من بعض أبناء المسلمين الذين تأثروا بكلامهم أن يثيروا الشكوك حول الإسناد وبداياته وأهميته في الرواية، وذلك لإضعاف الثقة به، ومن ثم إضعاف الثقة بالحديث النبوي، لأن التشكيك في الإسناد أو التقليل من أهميته، هو في الحقيقة تشكيك في السنة النبوية، ولأن الإسناد من أهم السوائل التي توزن بها الأخبار وتصحح بها الروايات، فالله حفظ لنا الأحاديث وصانها من الكذب والوضع بالأسانيد ؛ لذا أحببت بيان موقف المستشرقين من الأسانيد ودراسة شبههم والرد عليها. وفي هذا البحث سوف أتعرض لموقف المستشرقين من نشأة الأسانيد.

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

مقدمة.وهي هذه.

تمهيد.

موقف المستشرقين من نشأة الأسانيد وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : نشأة السند وتاريخه.

المبحث الثاني : المستشرقون وبداية السند.

المبحث الثالث : الرد على كلام المستشرقين في بداية استعمال الأسانيد في الأحاديث النبوية.

المبحث الرابع : المراد بالفتنة في كلام ابن سيرين عند المستشرقين.

المبحث الخامس : المراد بالفتنة في كلام ابن سيرين عند بعض الباحثين المسلمين.

الخاتمة : وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

وبعد فما كان في هذا البحث من *صواب فهو من الله* وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

تمهيد

قبل أن نتكلم عن موقف المستشرقين من نشأة السند، أرغب أن نعرف السند، ونتكلم عن أهمية السند ومكانته.

تعريف السند:

السند لغة: هو ما ارتفع من الأرض من قبل الجبل أو الوادي أو ما قابلك من الجبل وعلا من السفح(١).

السند في اصطلاح المحدثين: هو الطريق الموصل إلى المتن(٢)، وقيل: هو الإخبار عن طريق المتن(٣).

أهمية السند ومكانته:

تعود أهمية السنة إلى أهمية الحديث ومكانته التشريعية التي تحتل المرتبة الثانية بعد كتاب الله تعالى. وبما أن السند من أهم الوسائل للحفاظ على الحديث والدفاع عنه من الوضع والافتراء، كان طبيعياً أن يهرع إليه حماته ويتمسك به أتباعه، فيزيلوا به كل ما حاول أن يلصقه به أعداءه من أهل الزيغ والضلال، إذ هو المعيار الذي تقيم به الروايات والميزان الذي تعرض عليه، ليعرف به صحيحها من سقيمها، والسلّم الذي يتوصل به إلى مقبولها من مردودها، ولعل فيما نسوقه من أقوال العلماء فيه وثنائهم عليه ما يوضح أهميته واهتمام علماء الأمة به.

١-قال سفيان بن عيينة : حدث الزهري يوماً بحديث، فقلت: هاته بلا إسناد، قال: أنزل من السطح بلا سلم(٤).

٢-وروي عن عبدالله بن إدريس أنه قال: ربما حدث الأعمش بالحديث ثم يقول: بقي رأس المال حدثني فلان قال: حدثنا فلان، عن فلان... (٥).

---

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣١٤/١.

(٢) التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر للسخاوي ص٣٠.

(٣) بحوث في تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم العمري ص٢٩، وينظر : تدريب الراوي ٤١/١.

(٤) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص٦، والكفاية للخطيب ٣٩٣/١.

(٥) المجروحين لابن حبان ٢٧/١.

٣-وروي عن سفيان الثوري أنه قال: الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟[١]

٤-وروي عن الأوزاعي أنه قال: ما ذهاب العلم إلا ذهاب السند[٢].

٥-وروي عن مؤمل بن إسماعيل أنه قال: سمعت شعبة يقول: كل حديث ليس فيه: حدثنا وأخبرنا، فهو مثل الرجل في الفلاة معه البعير ليس له خطام[٣].

٦-وفي رواية له : كل حديث ليس فيه: حدثنا وأنبأنا فهو خل أو بقل[٤].

٧-وقال ابن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وقال: طلب الإسناد المتصل من الدين[٥]، وقال أيضاً: بيننا وبين القوم القوائم: يعني الأسانيد[٦].

٨-وقال الشافعي: مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل[٧].

٩-وقال ابن حبان: ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له، لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم[٨].

١٠-وقال الحاكم: فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثيرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجوم الأسانيد فيها كانت بترا[٩].

هذه نصوص العلماء والأئمة في بيان أهمية السند.

---

(١) المجروحين ١٧/١، وشرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٤٢، وفتح المغيب للسخاوي ٥/٣.

(٢) شرح علل الترمذي لابن رجب ٣٦٠/١.

(٣) المجروحين ٢٧/١.

(٤) المرجع السابق ٢٨/١.

(٥) مقدمة صحيح مسلم ١٣٠/١، والمجروحين ٢٦/١.

(٦) مقدمة صحيح مسلم ١٣١/١.

(٧) فتح المغيب للسخاوي ٥/٣.

(٨) المجروحين ٢٥/١.

(٩) معرفة علوم الحديث ص٦.

المبحث الأول : نشأة السند وتاريخه

بدأ السند مع بداية رواية الحديث، ورواية الحديث وجدت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان الشاهد من الصحابة يبلغ الغائب، حيث كانوا يتناوبون في حضور مجلسه صلى الله عليه وسلم، ثم ينقل كل منهم للآخر ما سمع منه من أقواله وما شاهده من أفعاله وسائر أحواله، وهؤلاء عندما يذكرون شيئاً سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم أو رأوه يفعله كانوا ينسبون القول أو الفعل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه يسند القول إلى قائله ؛ سواء كان ذلك القائل النبي صلى الله عليه وسلم أو صحابياً آخر.

ومن الطبيعي إذا كان الراوي أحد هؤلاء الذين لم يشهدون الواقعة بأنفسهم، ولم يسمعوا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه أن يذكر في هذه الحال مصدر كلامه، لكن لما كانت بداية السند قصيرة حيث تقتصر في الغالب على الصحابي مع تركهم في بعض الأحيان ذكر السند، لا عن جهل بالواسطة وعدم معرفة ممن أخذوا أو عمن تحملوا، وإنما كان ذلك لثقة بعضهم ببعض، وبعدهم عن مظان الكذب ديانة وطبعاً، أَوْهم ذلك من قال: إن الصحابة والرعيل الأول لم يستعملوا السند، الأمر الذي أدى إلى الاختلاف في تحديد بداية السند.

المراحل التي مر بها السند:

يمكن تقسيم المراحل التي مر بها السند إلى ثلاث عهود تبعاً لمميزات كل عهد وهي : عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد الصحابة رضي الله عنهم، وعهد التابعين وما جاء بعدهم.

١-عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان السند مستعملاً وموجوداً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، إذ من المعروف أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينقلون ما يسمعونه من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وما يرونه ويشاهدونه من أفعاله وسائر أحواله إلى من لم يسمع أو يشاهد شيئاً منها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، حيث كان الكثير منهم تفوتهم بعض فرص اللقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم، فتفوتهم بذلك أشياء كثيرة من السنن، فيأخذونها ممن أخذها عن النبي صلى الله عليه وسلم من إخوانهم من الصحابة وينقلها

هؤلاء إلى غيرهم ممن فاتهم لقاء النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ: سمعنا أو رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا أو فعل كذا.

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار نتناوب النزول على الرسول صلى الله عليه وسلم، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي، وإذا نزل فعل مثل ذلك. الحديث(١).

وروي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: ليس كلنا سمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت لنا ضيعة وأشغال، ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ فيحدث الشاهد الغائب(٢).

وفي رواية: ما كل الحديث سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين في رعاية الإبل(٣).

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه منه، ولكن حدثنا أصحابنا ونحن قوم لا يكذب بعضهم بعضاً(٤).

وعلى هذا فإن من كان يروي لإخوانه ما فاتهم أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة بلفظ: قال أو فعل أو سمعت أو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه يكون بذلك قد رفع لهم الحديث إلى قائله وأخبرهم عن طريق متنه، وقد كان من الصحابة في هذا العهد من إذا روى حديثاً لغيره رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ سواء رواه عنه مباشرة أو رواه عنه بواسطة صحابي آخر، ولم يكن ذلك ناشئاً عن نجهلهم بالواسطة وعدم معرفتهم ممن أخذوا أو عمن تحملوا، وإنما كان ذلك منهم لثقة بعضهم ببعض، وبعدهم عن مظان الكذب، ديانة وطبعاً، ووجود النبي صلى الله عليه وسلم بينهم، ورجوعهم إليه فيما قد يشكل عليهم، أو يتشككون فيه، وإلا فإنهم كانوا يعرفون ما تحملوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتحملوه عن غيره، ولا أدل على ذلك مما حفلت به كتب السنة المعتبرة من الأحاديث المتصلة المرفوعة إلى النبي صلى

(١) أحمد في مسنده ٢٣/١، والبخاري في صحيحه مع الفتح ١٨٥/١.

(٢) الخطيب في الكفاية ٢٤، والسيوطي في مفتاح الجنة ص٢٢.

(٣) الحاكم في المستدرك ٩٥/١.

(٤) الخطيب في الكفاية ٤٢٥.

الله عليه وسلم. من ذلك ما رواه مسلم عن قزعة بن يحيى البصري قال: سمعت منه – يعني أبا سعيد رضي الله عنه – حديثاً فأعجبني، قلت له: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع؟ قال سمعته يقول: "لا يصلح الصيام في يومين: يوم الأضحى، ويوم الفطر في رمضان"(١).

ومن ذلك أيضاً ما رواه مسلم عن الشعبي أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس رضي الله عنهما – وكانت من المهاجرات الأوائل، فقال: حدثيني حديثاً سمعتِه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسنديه إلى أحد غيره، فقال: لئن شئت لأفعلن، فقال لها: أجل، حدثيني، فقالت: نكحت ابن المغيرة – الحديث فذكرت حديث الجساسة بطوله(٢).

وقد كانوا على هذا إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك ساروا عليه بعد وفاته، فكان منهم من يذكر الواسطة فيما لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، ومنهم من لم يذكرها، بل يرفع الحديث إليه مباشرة، وذلك لعدم حاجتهم إلى ذكر الواسطة لقربهم من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ لم يكن بين الكثير منهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم واسطة، ومن كانت بينه وبينهم واسطة، فهي معروفة لهم، وهي لا تتعدى في الغالب الشخص أو الشخصين.

٢-عهد الصحابة رضي الله عنهم:

يعد هذا العهد بداية إلزام الرواة ذكر أسانيدهم، مع شديد ثقة بعضهم ببعض – أي الصحابة – ومع ذلك كانوا يحتاطون في الأخذ ويثبتون في قبول الروايات.

فمن ذلك ما روي عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأل ميراثها فقال لها أبو بكر: ما لك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله شيئاً، فارجعي حتى أسال الناس، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة رضي

(١) صحيح مسلم في الصيام رقم ٨٢٧.

(٢) صحيح مسلم في الفتن رقم ٢٩٤٢.

الله عنه : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثلما قال المغيرة فأنفذه أبو بكر(١).

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى رضي الله عنه كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر رضي الله عنه ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع" فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أو منكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك(٢). وفي رواية: فقال عمر لأبي موسى: أني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس(٣).

ويبدو واضحاً من اعتذار عمر لأبي موسى: أن الدافع له ولغيره على هذا التحري والتشدد هو: لفت أنظار الصحابة رضي الله عنهم إلى ضرورة زيادة الاحتياط في رواية السنة وتحملها والخوف من الخطأ والتقول في روايتها وليس الشك في صدق إخوانهم أو صحة روايتهم لها.

وقد استمروا على ذلك إلى أن ظهرت البوادر الأولى للوضع التي مهدت للتجمع الآثم الذي قام بقتل ثالث الخلفاء الراشدين: عثمان بن عفان رضي الله عنه عام (٣٥هـ)، وما نجم عن قتله من اختلاف المسلمين وافتراقهم إلى فرق شتى أخذت كل فرقة منها تبحث عما يؤديها فيما ذهبت إليه في كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أعياها الطلب ولم تجد فيهما ما يؤيدها، عمدت إلى اختلاق ما ترى أنه يؤيدها ونسبته إلى رسول الله عليه السلام، فكان لابد للصحابة والحالة هذه أني يقفوا أمام هذا الافتراء الباطل والدس الرخيص، الذي أراد منه مروجوه أن يشوهوا به جمال السنة، ويعكروا به صفوها ونقاءها.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٢٥)، وأبو داود (٢٨٩٤)، والترمذي (٢١٠١)، وابن ماجه (٢٧٢٤)، وغيرهم بإسناد منقطع بين قبيصة وأبي بكر.

(٢) البخاري في صحيحه في الاستئذان برقم (٦٢٤٥)، ومسلم بنحوه برقم (٢١٥٣).

(٣) أخرج هذه الرواية أبو داود في الأدب برقم ٥١٨٤.

قال ابن سيرين: "لم يكونا يسألوا عن الإسناد، فلما وقفت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"(١).

فأخذوا بعد الفتنة يتشددون في الرواية ويبحثون عن مصادرها ويسألون عن أسانيدها ليعرفوا صحيحها من سقيمها.

روي عن مجاهد أنه قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس رضي الله عنهما فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس: ما لي لا أراك تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع، فقال ابن عباس أنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف(٢).

٣-عهد التابعين ومن بعدهم:

اهتم كبار التابعين بالسؤال عن الإسناد ؛ فقد روي أن عروة بن الزبير أبان إسناد حديث سئل عنه، فقد سأله عمر بن عبد العزيز فقال: لقد حدثتني عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قل أن تظهر(٣).

-وقال محمد بن سيرين: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم(٤).

-وقد سأل الشعبي الربيع بن خثيم عن حديث حيث قال له: من حدثك؟ قال الربيع: عمرو بن ميمون، وقلت: من حدثك؟ فقال: أبو أيوب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال يحيى بن سعيد: وهذا أول ما فتش عن الإسناد(٥).

(١) مسلم في مقدمته ١٢٦/١، الرامهرمزي في ا لمحدث الفاصل ص٢٠٨، والخطيب في الكفاية ص١٩٧.

(٢) مسلم في مقدمته ١١٩/١-١٢٠.

(٣) الخطيب في الكفاية ص ٤٣٥.

(٤) مسلم في مقدمته ص ١٢٦/١.

(٥) الرامهرمزي في المحدث الفاصل من ٢٠٨.

ولعل اهتمام الشعبي الزائد بالإسناد وتأكيده عليه يعكس لنا مدى الحاجة إليه يومئذ، وخاصة في الكوفة التي قد حظيت أكثر من غيرها من الأمصار الإسلامية بالخلافات والأهواء، وهو ما يفسر لنا ارتباط الإسناد بالحاجة إليه وجوداً وعدماً.

وقد استمر التفتيش عن الإسناد بعد كبار التابعين، وأخذ السؤال عنه يشتد والإقبال عليه يزداد مع الأيام بازدياد الكذب، وفشو الوضع حتى شاع وعم الالتزام به على عهد صغار التابعين.

فقد روي أن شعبة حدث ذات يوم بحديث، فقال قتادة: من حدثك بهذا؟ فقال: نسألك فتغضب وتسألنا(١).

وروي عن الأعمش أنه كان إذا حدث بالحديث يقول: بقي رأس المال : حدثني فلان، عن فلان، عن فلان (٢).

وروي عن الزهري أنه قال: يا أهل الشام، مالي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم(٣).

(١) ابن أبي حاتم في مقدمه الجرح والتعديل ١/ ١٦٦.

(٢) ابن حبان في المجروحين ٢٧/١.

(٣) الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٣٤/٥.

المبحث الثاني : المستشرقون وبداية السند:

لقد اختلف المستشرقون في بداية استعمال الأسانيد في الأحاديث النبوية وغيرها على أقوال :

١-قال الأمير كايتاني:" أقدم من قام بجمع الأحاديث وهو عروة بن الزبير (المتوفى ٩٤هـ) لا يستعمل الأسانيد، ولا يذكر المصدر لكلامه غير القرآن الكريم، كما هو واضح في نقول الطبري عنه".

فكايتاني يعتقد أنه في عهد عبد الملك بن مروان (٨٠-٧٠هـ) أي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من ستين سنة لم يكون معروفاً بعد استعمال الأسانيد في الأحاديث النبوية، وعلى هذا في رأيه يمكن القول بأن استعمال الأسانيد في الحديث بدأ بين عروة وابن إسحاق، وعلى ذلك فالجزء الأعظم من الأسانيد الموجودة في كتب السنة لابد أنه قد اختلقها المحدثون في القرن الثاني، بل وفي القرن الثالث أيضاً[١].

٢-قال شبرنجر: "إن كتابات عروة إلى عبد الملك خالية من الأسانيد، ولذلك فما نسب إلى عروة من استعماله للأسانيد لابد أن يكون متأخراً نسبياً "[٢].

ويبدوا أن إصدار الأحكام بشكل اعتباطي أمر مألوف في أبحاث المستشرقين عن الإسلام، فكثيراً ما لا تجد لحكمهم أي دليل معتمد، اللهم إلا تخميناً يتحول في عرفهم دليلاً، هذا ما يتضح فيما استند عليه في دراساتهما عن بداية استعمال السند بكتابات عروة والتي لا تصلح أن تتخذ كدليل في هذا الميدان على خلو الأحاديث من الأسانيد، وذلك لأن الاقتباسات من كتابات عروة لم ترد في تاريخ

الطبري فقط، بل وردت في كتب عديدة أقدم من الطبري، مثل مسند الإمام أحمد[٣].

وقال الدكتور الأعظمي -رحمه الله-: " في اعتقادي أن أكبر مشكلة تصادفنا في بحث مصادر عروة هي عدم وجود تأليفه بأيدينا بشكل مستقل، والمواد المتوفرة من كتاباته هي اقتباسات منها لا غير"[٤].

---

(١) دراسات في الحديث النبوي، الأعظمي ٢/٣٩٢.

(٢) دراسات في الحديث النبوي ٢/٣٩٢-٣٩٣.

(٣) انظر: ٤/٣٢٤-٣٢٦ و ٣٢٨-٣٣١.

(٤) دراسات في الحديث النبوي ٢/٣٩٢-٣٩٣.

نستخلص مما سبق أن إسناد عروة واضح وثابت ومنقول عنه شفاهة في الغالب في كتب الحديث المعتمدة كموطأ مالك ومصنف عبد الرزاق وصحيح البخاري ومسلم وغيرها من الكتب التي روت لنا أسانيده عن تلاميذه كالزهري وغيره، الأمر الذي يؤكد بشكل لا لبس فيه ولا غموض التزام عروة كغيره بالسند، وأنه إن حصل إرسال في سنده في نقل من المنقول فلعله راجع إلى اختصاره ذلك النقل لسبب ما، أو اختصار الناقل لما نقله عنه لعدم حاجته لذكر السند كله أو بعضه، كمؤرخ أو فقيه [١].

٣–المستشرق هوروفتس بحث مسألة بداية استعمال السند ورد على استنتاج كايتاني وشبرنجر رداً قوياً، وتوصل في دراسته عن بداية استعمال السند إلى أن الذين نفوا استعمال عروة للإسناد لم يدرسوا كتاباته وأسانيده كاملة، ثم يشير إلى أن هناك فرقاً بين أسلوب الكتابة، عندما يصل هوروفتس إلى النتيجة التالية:"وهي أن بداية الإسناد في الأحاديث تذهب إلى الثلث الثالث من القرن الأول" [٢].

٤–المستشرق البرروفسور ج روبسون الذي قد درس قضية الإسناد بشكل من التوسع وهو يقول: "في منتصف القرن الأول يمكن للمرء أن يتوقع شيئاً ما يشبه الإسناد، إذ كان قد مات عدد من الصحابة في ذلك الوقت، والذين لم يروا النبي صلى الله عليه وسلم بدؤوا يقصون عنه، ومن الطبيعي أن يسألهم أحد السامعين عن مصادرهم أو معلوماتهم ما لم تكن مباشرة حيث لم يروا النبي صلى الله عليه وسلم. أما وجود نظام دقيق للأسانيد فلابد أنه كان تدريجياً بحتاً... ثم يلخص فيقول: إننا نعلم أن ابن إسحاق في النصف الأول من القرن الثاني أعطى أكثر معلوماته بدون إسناد، وأكثر ما بقي منه بدون إسناد كامل، وأسلافه لابد كانوا أقل اهتماماً بالأسانيد منه، لكنه لا يصح أن نقول: إن الإسناد راجع إلى عهد الزهري ولم يكن معلوماً في عصر عروة بينما نظام الأسانيد البالغ إلى كامل نشوئه أخذ وقتاً طويلاً، ونما نمواً بطيئاً، يمكن أن يقبل أن بعض الأسانيد راجع إلى القدم كما يدعيه الناس" [٣].

يبدو أن روبسون على الرغم من إتباعه أسلوباً أكثر واقعية، إلا أنه لم يختلف في النتيجة عن الآخرين ضارباً على نفس الوتر في لحنهم الدائر حول اختلاق الأسانيد من

---

(١) المستشرقون والحديث النبوي ص٩٦–٩٧.

(٢) انظر: دراسات في الحديث النبوي ٣٩٣/٢، والمستشرقون والحديث النبوي ٩٧–٩٨.

(٣) انظر: دراسات في الحديث النبوي ٣٩٣/٢–٣٩٤.

قبل علماء المسلمين في القرون التي تلت القرن الأول الهجري، حيث يؤيد ويؤكد قوة الحجج التي جاء بها شاخت، والتي سيأتي الحديث عنها في نظريته حول السند، هذه الحجج التي نفى بموجبها استعمال الأسانيد قبل القرن الثاني والثالث الهجريين وأكد بها أن الأسانيد مختلقة(١).

يقول روبسون عن ذلك: " إن النقد الموجه إلى الإسناد في الواقع نقد عميق، ولقد جاء – أي شاخت – بحجج قوية تبين أن الأسانيد شيء متأخر لكن المرء يتردد أن يقبل كلامه بكامله"(٢).

٥- المستشرق كولسون:

يبين كولسون وجهة نظره الخاطئة في الأسانيد فيقول:"إن أهل الحديث تأكيداً لمذهبهم في ضرورة إتباع ما تقرر من أحكام في القرآن بدأوا ينسبون كثيراً من القواعد والأحكام خطأ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يضعونها في شكل قصص وأخبار عما قاله محمد أو فعله في مواقف معينة... وكان ذلك نتيجة اعتقادهم الجازم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سيقضي بالأحكام التي نسبوها إليه حتماً فيما لو واجهته المشاكل التي وقعت..." (٣).

ونرد على هذا المستشرق فنقول: من أين لك الأدلة على ما تدعيه؟ هل المسلمون يجيزون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين شهد بصدقهم وخوفهم من الله تعالى أعداؤهم قبل أصدقائهم؟ أي افتراء هذا وإساءة أدب؟ هل ما تدعيه تخمين أم ضرب من الخيال؟ إن هذا ليبعث على الدهشة والحيرة، ألم يبق محمد صلى الله عليه وسلم مع أصحابه طيلة ثلاثة وعشرون عاماً ؟ ألم يتكلم خلال هذه الفترة ؟ ألم يفعل شيئاً ؟ ألم يكن قوله وفعله وسائر أحواله سنة يجب إتباعها بنص القرآن الكريم (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ثم ألم يكن هو الأسوة لأصحابه ومن بعدهم في أقواله وأفعاله بقوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (٤).

---

(١) المستشرقون والحديث النبوي ص١٠٢.

(٢) انظر: دراسات في الحديث النبوي ٣٩٣/٢-٣٩٤.

(٣) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ٢٢٩/١.

(٤) المستشرقون والحديث النبوي ص ١٠٠.

٦-المستشرقون مونتجومري:

ادعى هذا المستشرق أن السند بدأ بشكل غير كامل، واستدل بما جاء في كتاب ابن إسحاق في النصف الأول من القرن الثاني الهجري وبالواقدي... وأنه كاتبه ابن سعد وهو أصغر منه بحوالي عشرين عاماً، يحاول ذكر سلسلة الرواة كاملة... والذي ألح على الإتيان بسلسلة الرواة كاملة هو الشافعي الذي كان معاصراً للواقدي حتى إذا عم ذكر السند الكامل اندفع المحدثون إلى العودة بالسند إلى معاصري محمد صلى الله عليه وسلم حتى أنهم حين أضافوا إلى الرواة فإن إضافتهم كانت صحيحة لأنهم عرفوا من أين استقى سابقوهم معلوماتهم، وهذا يعني فقط أننا لا نستطيع وصل الحلقات الأولى من السلسلة كما هو الشأن في الحلقات المتأخرة[١].

ويبدوا أن هذا المستشرق لا يختلف في ادعائه عمن سبقه في القول أن الأسانيد إنما اختلقت في الفترة المتأخرة من غير أن يكون له ولهم أدنى دليل إلا مجرد الوهم والتخمين[٢]، والخطأ الذي وقع هذا المستشرق ومن سار على منهجه من المستشرقين أنهم اعتمدوا على كتب السير والمغازي، وهذا النوع من المصنفات كما لا يخفى على المهتمين بعلوم الحديث أن أكثر أسانيدها مراسيل، بل بعضها بدون أسانيد، لذا قال الإمام أحمد بن حنبل: "ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير"[٣][٤].

٧-المستشرق شاخت:

درس هذا المستشرق الأحاديث الفقهية وتطورها – على حد زعمه – فيرى أن السند جزء اعتباطي في الأحاديث وأن الأسانيد نمت وتطورت على يد الأحزاب المختلفة التي أرادت أن تنسب نظرياتها إلى أشخاص مرموقين من القدماء، يقول عن ذلك: "إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي... ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري... وكانت

---

(١) المستشرقون والحديث النبوي ص ١٠٠-١٠١ نقلاً عن محمد في المدينة ص٥١٦ وما بعدها.

(٢) المستشرقون والحديث النبوي ص ١٠١.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي ١٦٢/٢.

(٤) قال ابن تيمية موضحاً مقولة الإمام أحمد :"ومعلوم أن المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي والملاحم،ولهذا قال الإمام أحمد... لأن الغالب عليها المراسيل". الفتاوى الكبرى ١٣ / ٣٤٦.

الأسانيد كثيراً ما لا تجد أقل اعتناء، وأي حزب يريد أن ينسب آراءه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات فيضعها في الإسناد"[1].

يبدو واضحاً أن شاخت كان قد وقع في خطأ منهجي عندما أقدم على دراسة قضية الإسناد في كتب الفقه التي لا تصل لمثل هذه الدراسة، حيث أن اختيار مادة علمية من كتب الفقه كالإسناد من شأن ذلك عدم الحصول على الحقيقة، والخروج منها بأفكار مشوشة لا تبعث على الاطمئنان العلمي وسلامة النتائج، إذ الاعتناء بالأسانيد والمتون ليس من وظيفة الفقهاء، بل هي وظيفة المحدثين؛ لأن الفقهاء همهم استنباط المسائل الفقهية من الأحاديث بعد حصول ثقتهم بمدى حجيتها لما ذهبوا إليه، لذا كثيراً ما نجد الفقيه يكتفي بأدنى إشارة إلى الحديث[2].

(١) نقلاً عن كتاب دراسات في الحديث النبوي ٣٩٤/٢، والمستشرقون والحديث النبوي ص ١٠٢.

(٢) المستشرقون والحديث النبوي ص١٠٣.

المبحث الثالث : الرد على كلام المستشرقين في بداية استعمال الأسانيد في الأحاديث النبوية

في الحقيقة هذه الحجج التي ذكرها المستشرقون سابقاً حول بداية استعمال الإسناد في الأحاديث النبوية هي حجج واهية لم تقم على أسس علمية صحيحة ودقيقة وإنما قامت على تخيلات وجهل بعلوم الحديث وكتب السنة، وللرد على تلك الحجج ما يلي :

١-إن الأسانيد كانت موجودة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين للأدلة التالية، منها :

أ-عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد: أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال صدق... الحديث رواه مسلم(١)، فقد ذكر ضمام رضي الله عنه سند الذي أبلغه بأوامر النبي صلى الله عليه وسلم وهو الرسول الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم.

ب-وأيضا ما رواه مجاهد قال: "أتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فتناولت صحيفة من تحت مفرشه فمنعني، قلت: ما كنت تمنعني شيئاً، قال: هذه الصادقة، هذه ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه أحد"(٢).

ج-وصحيفة همام بن منبه التي يرويها عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيها أحاديث كثيرة، رواها أحمد في مسنده كاملة(٣).

د- صحيفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها فرائض الصدقة ؛ فقد روى الخطيب بسنده إلى أنس بن مالك: "إن أبا بكر الصديق بعثه مصدِّقاً، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة، وعليه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه: "هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين" الحديث بطوله(٤).

ه-صحيفة علي بن أبى طالب رضي الله عنه. روى البخاري عن أبي جحيفة، قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب قال : لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما

---

(١) صحيح مسلم في الايمان رقم ١٢.

(٢) روى هذه الصحيفة أحمد في مسنده ١١/ ٧ وما بعدها.

(٣) مسند أبي هريرة في مسند أحمدفي الجزء ١٢.

(٤) تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ٨٧.

في هذه الصحيفة، قال : قلت فما في هذه الصحيفة: قال : العقل وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر[١].

وغيرها من صحف الصحابة التي كتبوها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يؤكد الخطأ المنهجي عند المستشرقين، حينما لم يرجعوا إلى كتب السنة المشهورة لينظرا فيها.

و- صحيفة سعيد بن جبير عن ابن عباس.

روى الدارمي عن سعيد بن جبير، قال:" كنت أجلس إلى ابن عباس فأكتب في الصحيفة حتى تمتلئ، ثم أقلب نعلي فأكتب في ظهورهما"[٢].

ز-عن عبيد الله بن أبي رافع قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما يأتي أبا رافع فيقول : ما صنع رسول الله صلى الله عليه يوم كذا،ما صنع رسول الله عليه يوم كذا،ومع ابن عباس ألواح يكتب فيها[٣].

ح-عن هبيرة بن عبد الرحمن قال : كانوا إذا كثروا على أنس بن مالك في الحديث أتاهم بمجال فقال : هذه كتبتها ثم قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤].

٢- كان الصحابة يكتب بعضهم لبعض ببعض الأحاديث، فمن ذلك :

أ- روى أحمد في مسنده عن أسيد بن حضير الأنصاري، ثم أحد بني حارثة، أنه أخبره أنه كان عاملاً على اليمامة، وأن مروان كتب إليه: أن معاوية كتب إليه: أيما رجل سرق منه سرقة، فهو أحق بها بالثمن حيث وجدها، قال: فكتبت إلى مروان:"أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى أنه إذا كان الذي ابتاعها من الذي سرقها غير متهم، خير سيدها، فإن شاء أخذ الذي سرق منه بالثمن، وإن شاء اتبع سارقه"، قال: وقضى بذلك أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله تعالى عنهم[٥].

ب-روى مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع، أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكتب

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح في العلم برقم ١١١.

(٢) ينظر : سنن الدارمي ٤٣٩/١.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في تقييد العلم ص ٩١.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تقييد العلم ص ٩٥.

(٥) مسند أحمد ٥٠٨/٢٩.

لي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول: " لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش". وسمعته يقول: " عصبة المسلمين يفتتحون البيت الأبيض، بيت كسرى وآل كسرى". وسمعته يقول: " إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم ".

وسمعته يقول: " إذا أعطى الله أحدكم خيرا، فليبدأ بنفسه، وأهل بيته ". وسمعته يقول: "أنا الفرط على الحوض "(١).

ج–روى أحمد عن النضر بن أنس : أن زيد بن أرقم كتب إلى أنس بن مالك زمن الحرة يعزيه فيمن قتل من ولده وقومه،وقال : أبشرك ببشرى من الله عزو جل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار،واغفر لنساء الأنصار ولنساء أبناء الأنصار ولنساء أبناء أبناء الأنصار "(٢).

د– روى الدارقطني عن زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب استأذن عليه يوماً فأذن له ورأسه في يد جارية له ترجله فنزع رأسه... فخرج عمر مغضباً وقال: قد جئتك وأنا أظنك ستفرغ من حاجتي، ثم أتاه مرة أخرى في الساعة التي أتاه المرة الأولى فلم يزل به حتى قال: فسأكتب لك فيه،فكتبه في قطعة قتب وضرب له مثلاً... الحديث(٣).

ه–روى أبو داود عن سليمان بن سمرة،عن أبيه سمرة أنه كتب إلى ابنه: أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالمساجد أن نصنعها في دورنا ونصلح صنعتها ونطهرها(٤).

خلاصة القول:

فإن الإسناد كان موجوداً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن عدم سؤال الصحابة عنه في هذا العهد وما تلاه من عهد كبار الصحابة رضي الله عنهم لا يعني عدم وجوده، وإنما كان لعدم حاجتهم إليه، وأن السؤال عنه بدأ يظهر بوضوح مع بداية الوضع والافتراء الذي ظهرت بوادره الأولى قبيل فتنة قتل عثمان ، ثم أخذ السؤال عنه

(١) صحيح مسلم في الإيمان رقم ١٢.

(٢) مسند أحمد ٤٢١/٣٤.

(٣) سنن الدارقطني ١٦٥/٥.

(٤) سنن أبي داود كتاب الصلاة رقم الحديث ٤٥٦.

يزداد، والتفتيش يتضاعف مع زيادة الوضع واتساع خطره، حتى تم التزامه وعم التمسك به، وأضحت له الهيمنة الكاملة في عهد صغار التابعين.

وينظر فيما كتبه الخطيب البغدادي في كتابه المهم في هذا الباب "تقييد العلم" حيث نقل أخباراً وآثاراً تثبت وجود الكتابة للحديث النبوي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة والتابعين وبالأسانيد كما سبق فليرجع إليه.

المبحث الرابع : المراد بالفتنة في كلام ابن سيرين عند المستشرقين :

قال ابن سيرين (ت١١٠ هـ) عن موقف المحدثين من السند:" لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم" (١).

فلقد جاء لفظ "الفتنة" في حديث ابن سيرين مطلقاً مما أثار الجدل حول المراد من الفتنة فيه.

رأي شاخت في أثر ابن سيرين:

يقول شاخت: "قد نقل عن التابعي ابن سيرين بأن البحث في الإسناد والسؤال عنه بدأ بعد الفتنة بحيث لم يعد ممكنا اعتبار الناس ثقات دون البحث والتدقيق، وسنرى أن الفتنة التي بدأت بمقتل الوليد بن يزيد (ت١٢٦هـ) على مقربة من نهاية الدولة الأموية كان تاريخاً مصطلحاً عليه لاعتباره نهاية الأيام الجميلة القديمة، العصر التي كانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيها غالبة... وبما أن تاريخ وفاة ابن سيرين هو (١١٠هـ) لذل لابد أن تعتبر أن نسبة هذا الكلام إلى ابن سيرين غير صحيحة والأثر موضوع، وعلى كل فليس هناك ما يدعو إلى أن نقبل أن بداية الإسناد تسبق في وجودها بداية القرن الثاني الهجري"(٢).

الناظر في كلام شاخت هذا يرى أن باطل من وجوه:

أنه لم يذكر في التاريخ الإسلامي أن عام (١٢٦هـ) يعتبر نقطة تحول ونهاية الأيام القديمة الجميلة، وإذا كان هناك عصر يعتبره المسلمون بهذا الوصف فهو عصر الخلفاء الراشدين لا غير.

كانت هناك فتن عديدة في تاريخ الإسلام قبل هذا التاريخ، مثلاً فتنة عبدالله بن الزبير، وقبل هذه الفتنة بين علي ومعاوية... الفتنة التي تعاني آثارها الأمة الإسلامية حتى الآن.

ادعاؤه بوضع هذا الأثر على ابن سيرين وعدم صحة نسبته إليه، وهو ادعاء غير مسلم به، لأن هذا الأثر قد ورد في مصادر معتمدة(٣).

---

(١) مسلم في مقدمته ١٢٦/١، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص٢٠٨، والخطيب في الكفاية ص١٩٧.

(٢) دراسات في الحديث النبوي ٣٩٤/٢-٣٩٥.

(٣) المستشرقون والحديث النبوي ص١٠٩-١١٠.

ويرى روبسون أن الفتنة الواردة في نص ابن سيرين يقصد بها فتنة ابن الزبير الواقعة في حدود سنة (٧٢ه)، مستنداً في تفسيره هذا إلى ما رواه مالك في موطئه حيث ذكر الفتنة التي تشير إلى فتنة ابن الزبير، وحجة روبسون أن ابن سيرين عاصر فتنة ابن الزبير وهو في مرحلة من العمر تمكنه من الكلام بإدراك واطلاع عما حدث، وأن هذا التفسير للفتنة يتفق مع سن ابن سيرين حيث كانت ولادته سنة (٣٣هـ).

فروبسون وأن كان قد قدم برأيه هذا في الفتنة تاريخاً يزيد على خمسين عاماً عما يراه شاخت، إلا أنه قد استند فيه على أدلة تبدو غير قاطعة الدلالة على ما ذهب إليه، إذ لا يمكن أن يتخذ من حصول توافق بين عمر ابن سيرين وكلامه على الفتنة دليلاً قاطعاً لتفسير روبسون؛ لأن ابن سيرين قد يتحدث عن أحداث لم يعايشها معتمداً في حديثه على مصادر معتبرة من تاريخ الحديث، كما أن إطلاق كلمة فتنة على حركة ابن الزبير لا يعني أنه إذا أطلقت كلمة (الفتنة) تعني أنها فتنة ابن الزبير، إذ الكلمة قد أطلقت على كثير من الحروب والانشقاقات الداخلية بني المسلمين وأولها فتنة مقتل عثمان[1].

(١) المستشرقون والحديث النبوي ص١١١.

المبحث الخامس : المراد بالفتنة في كلام ابن سيرين عند بعض الباحثين المسلمين.

أ- ذهب جماعة من الباحثين إلى المراد بالفتنة في كلام ابن سيرين هي فتنة مقتل عثمان، منهم : د. مصطفى السباعي، و د. أكرم العمري، و د. حارث الضاري[١].

ورد أصحاب هذا القول على ما ذهب إليه شاخت في أثر ابن سيرين بما يلي:

١-كانت فتنة قتل الوليد بن يزيد قد حدثت عام (١٢٦ه) أي بعد وفاة ابن سيرين بستة عشر عاماً، فكيف يخبر ابن سيرين عن شيء مستقبل مجهول؟

٢-أفادت روايات عن ابن عباس وغيره أن التثبت في الرواية والتوقف عن أخذ ما لم يعرف منها كان على عهد الصحابة، وذلك بسبب ما كان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أنه لم يبق أحد من الصحابة حياً بعد سنة مائة أو سنة مائة وعشر فضلاً عن سنة مائة وستة وعشرين.

٣-ثبت أنه قد تم السؤال عن السند والاهتمام به في عهد كبار التابعين كعروة بن الزبير، والحسن البصري، وابن سيرين، والشعبي، ولم يبق أحد من هؤلاء جميعاً حياً بعد سنة (١١٠هـ).

٤-لم يترتب على فتنة قتل الوليد بن يزيد ما ترتب على ما سبقها من الفتن من الفرق والاختلاف وغير ذلك مما يستدعي التشدد في الرواية والاحتياط في قبول الأخبار، قد كانت فتنة عائلية أو تكاد أودت بحياة شخص وأحلت شخصاً آخر مكانه.

٥-إنه لم غير المعقول أن يتشدد الصحابة في رواية الحديث ويحتاطون في قبوله أيام الصفاء والوئام على ما رأينا، ويبخلون عليه بمثل تلك الجهود إن لم يضاعفوها عند تعرضه للدس والافتراء أيام الفتنة والفرقة والاختلاف[٢].

ويستدل على أن المراد بالفتنة في قول ابن سيرين هي : فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، ما يلي :

١-ما رواه ابن عساكر عن حذيفة رضي الله عنه قال :" أول الفتن قتل عثمان بن عفان"[٣].

---

(١) ينظر : قول د. السباعي في كتابه السنة ومكانتها ص٨٩، و د. أكرم العمري في بحوث في تاريخ السنة ص٣٠، و د. الضاري في كتابه الإمام الزهري وآثاره في السنة ص٣١٥.

(٢) المستشرقون والحديث النبوي ١١٣-١١٤، والإمام الزهري وأثره في السنة للضاري ٣١٥-٣١٦.

(٣) تاريخ دمشق ٣٩/ ٤٤٧.

٢-قال عبدالله بن أحمد بن حنبل : حدثني أبي،قال حدثنا إسماعيل،قال حدثنا أيوب،عن محمد بن سيرين قال : "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف،فما خف فيها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين"(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على هذا الأثر : وهذا الإسناد أصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقه، ومراسيله من أصح المراسيل(٢). وهذا يؤكد ما سبق فإنه لم يكن بالمدينة وقت مقتل عثمان رضي الله عنه هؤلاء العشرة آلاف، بل ولا المائة.

ب-أما الدكتور محمد الأعظمي فقد ذهب إلى أن الفتنة المذكورة في نص ابن سيرين يقصد بها فتنة علي ومعاوية رضي الله عنهما، ويستند في تفسيره هذا إلى أن أكثر الوضع في الحديث كان في الحقل السياسي، وربما بدأ الوضع لهذا الغرض أيام الحرب بين علي ومعاوية، ومن ذلك الوقت أصبح لزاماً على المحدثين أن يأخذوا احتياطاتهم في انتخاب مشايخهم(٣).

وعلى الرغم من عدم ترتب نتائج ذات أهمية على الاختلاف بين التفسيرين السابقين للفتنة لتقارب زمان وقع الفتنتين حيث تعودان إلى العقد الرابع الهجري، إلا أن المراد بالفتنة هي : فتنة مقتل عثمان التي تعد أم الفتن الواقعة بين المسلمين الأوائل، وما فتنة اقتتال علي ومعاوية وغيرهم إلا متمخضة عنها وامتداد مؤسف لها، أما الذي يهمنا من هذا الخبر فهو أنه صحيح النسبة إلى ابن سيرين، ولا يرقى أدنى شك إلى صحة نسبته إليه لوروده في مصادر معتمدة عند المسلمين، خلافاً لما زعمه شاخت من اختلاقه عليه من غير أن يكون له أي دليل إلا مجرد تخمين(٤).

(١) العلل ومعرفة الرجال ١٨٢/٣.

(٢) منهاج السنة النبوية ٢٣٦/٦.

(٣) دراسات في الحديث النبوي للأعظمي ٣٩٥/٢.

(٤) المستشرقون والحديث النبوي ص١١٥.

الخاتمة

وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات، وهي :

أبرز النتائج :

١-لقد بدأ استعمال السند في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قد استعمله بعض الصحابة بنقل الأحاديث النبوية في ذلك الوقت كما سبق، وفي عهد الخلفاء الراشدين كان إلزام الرواة به، وفي عهد التابعين ومن بعدهم كان الالتزام به.

٢-ظهر الوضع في الحديث على الأغلب في العقد الرابع من القرن الأول الهجري في مجال السياسة بالذات، فقد أوجدت هذه الفرقة السياسية جبهات متعادية.. فاستغل تلك الأجواء أناس اتسموا بقلة الدين وضعف الإيمان فأقدموا على وضع أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً إرضاءً لرغباتهم وميولهم وأهوائهم، وتأييداً لمواقفهم من الأحداث، منذ ذلك الوقت أصبح المحدثون أكثر حساسية ووعياً في اختيار شيوخهم، أكثر احتياطاً في قبول الرواة، وأصبح استعمال الإسناد في ذلك الوقت أكثر أهمية من أي وقت مضى.

وفي عهد التابعين التزم المحدثون السند، وتشددوا في أمره أكثر فأكثر، وأحاطوه بكل عناية واهتمام، وكانوا يبذلون جهوداً مضنية في صدد البحث عن الأسانيد، ويتتبعون الرواة ويرحلون إليهم للتثبت من السند، فهذا سعيد بن المسيب يقول:"إني كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد".

٣-السبب الرئيس في أخطاء المستشرقين برأي د. الأعظمي هو أنهم لم يختاروا أمثلتهم الحديثية من مصادر الحديث الأساسية بل اختاروها من كتب السيرة أو كتب الفقه.

٤-وضع علماء النقد لرواة الأسانيد شروطاً وضوابط عديدة، كالعدالة والضبط والحفظ والسماع، مما ينفي عن أهل الحديث التهم التي وجهها لهم المستشرقون من اختلاق هذه الأسانيد ووضعها.

٥- من يراجع كتب علل الحديث يرى دقة علماء الحديث في نقدهم للروايات والأسانيد وعدم مجاملتهم لأحد بل همهم معرفة هل ضبط الراوي الحديث أم أخطأ فيه؟ ولم يهتموا أيضاً هل الحديث يوافق مذهبهم الفقهي فيصححوه أو كان يخالف مذهبهم فيضعفوه فهذه دعوى لا تستند إلى دليل بل الوقائع تؤكد خلافها.

٦- إذا كان إسناد الحديث موضوعاً فإن علماء الحديث لا يقبلونه ولو كان المتن صحيحاً، وهذا ينفي تهمة وضع الأسانيد عن علماء الحديث.

التوصيات :

هذه بعض التوصيات التي مرت ني أثناء كتابة البحث منها :

١- الاهتمام بالشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام والرد عليها وتفنيدها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١-أدب الإملاء والاستملاء، لعبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي، أبو سعد، المحقق: ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ – ١٩٨١.

٢-الإمام الزهري وأثره في السنة، د. حارث سليمان الضاري، الطبعة : الأولى ١٤٠٥ هـ، الناشر : مكتبة بسام – الموصل، العراق.

٣-بحوث في تاريخ السنة المشرفة – للدكتور أكرم بن ضياء العمري، الطبعة الرابعة، بساط – بيروت.

٤-تاريخ دمشق، لأبي القاسم ابن عساكر، تحقيق عمر غرامة العمروي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الفكر، بيروت لبنان.

٥-تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي – لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م، دار الكتب الحديثة.

٦-التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي،مكتبة أضواء السلف، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.

٧-الجامع الكبير – للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان.

٨-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور محمد رأفت الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ، مكتبة الفلاح، الكويت.

٩-الجرح والتعديل – للإمام الحافظ شيخ الإسلام أبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١٠-السنن – للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/١٩٩٦م، دار الحديث.

١١-السنن – لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، بدون تاريخ.

١٢-السنن، تأليف شيخ الإسلام الإمام الكبير علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وجماعة،الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٣-السنن، للإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي السمرقندي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
١٤-السنة ومكانتها في التشريع، للدكتور مصطفى السباعي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
١٥-سير أعلام النبلاء – تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.
١٦-شرح علل الترمذي – لابن رجب الحنبلي، تحقيق: الدكتور همام عبدالرحيم سعيد، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن.
١٧-شرف أصحاب الحديث، لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمد سعيد خطي اوغلي، دار إحياء السنة النبوية – أنقرة.
١٨-صحيح البخاري – لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، دار الريان للتراث – مصر.
١٩-صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، مؤسسة قرطبة.
٢٠-العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد، رواية ابنه عبدالله، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٢١-فتح المغيث شرح ألفية الحديث – تأليف: الإمام شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: الشيخ صلاح محمد عويضة، ١٤١٧هـ. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
٢٢-القاموس المحيط – تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – بيروت – لبنان، بدون تاريخ.
٢٣-الكفاية في علم الرواية – للإمام الحافظ المحدث أبي بكر أحمد بن علي، المعروف بالخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور أحمد عمر هاشم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الكتاب العربية – بيروت – لبنان.
٢٤-المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين – للإمام الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم، تحقيق: محمود إبراهيم زايدة. دار الباز – مكة المكرمة، بدون تاريخ.

٢٥-مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ١٤١٢هـ-١٩٩١م. دار عالم الكتب – الرياض – المملكة العربية السعودية.

٢٦-المستدرك على الصحيحين في الحديث – للحافظ الكبير إمام المحدثين أبي عبدالله محمد بن عبدالله (المعروف بالحاكم)، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٢٧-المستشرقون والحديث النبوي، تأليف د. محمد بهاء الدين، الطبعة الأولى ١٤٢٠ه، دار النفائس، بيروت.

٢٨-المسند – للإمام أحمد بن حنبل، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، دار المعارف – مصر.

٢٩-معرفة علوم الحديث – تأليف الإمام الحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ النيسابوري، تحقيق: الدكتور السيد معظم حسين، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار إحياء العلوم – بيروت.

٣٠-مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، لجلال الدين السيوطي،الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣١-مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، تأليف : التهامي نقرة وآخرون، الطبعة : الأولى، ١٤٠٥ هـ، الناشر : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس.